سر القنبلة القذرة

محمود سالم

سر القنبلة القذرة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سر القنبلة القذرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٣٠٣٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
انفجار الطائرة!	١١
حادثٌ خطير	١٧
الصاروخ المجهول!	٢٣
رحلة إلى أرض الخطر!	٢٩
صائد السِّمَّان!	٣٥
القبض على القنبلة القذرة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: أحمد» من مصر.

رقم «٢»: عثمان» من السودان.

رقم «٣»: إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: هدى» من المغرب.

رقم «٥»: بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: فهد» من سوريا.

رقم «٩»: خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: ريما» من الأردن.

رقم «١١»: قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

انفجار الطائرة!

من شُرفة فيلَّا بالدور الرابع عشر لأحد الأبراج المُطِلة على نيل «المعادي» ... أطلق رقم «صفر» رسالةً إلكترونية ... التقَطها قمَر المنظمة الاصطناعي ... وأعاد بَثَّها إلى ثلاثة عشر جهاز استقبال مزوَّدةً بها ثلاث عشرة ساعةَ يدٍ ... يرتديها ثلاثة عشر شابًّا وفتاة هم الشياطين الـ «١٣».

كانت «ريما» و«إلهام» تعملان سويًّا لإنشاء برنامج إلكتروني للتدريب المنطقي المتواصل ... عندما شعَرَتا بوخز في رُسغَيهما من ساعة يدهما ... التفتَت «ريما» تضغط بعض الأزرار قبل أن تقول «إلهام»: إنها رسالة من رقم «صفر».

التفتَت «إلهام» إلى ساعتها وضغَطَت هي الأخرى بعض الأزرار ثم قالت: إنه يطلبنا الآن في الموقع «ن. م».

ريما: الرمز على الرسالة يقول: إنها أُرسِلَت لكل الزملاء.

إلهام: فلنُغلِق الكمبيوتر ونتحرَّك.

وفي هذه اللحظة انطلقَت الموسيقى من تليفونها المحمول ... وبالنظر إلى شاشته عرفَت أنه «أحمد» ... فضغطَت زر الاستجابة وقالت: أهلًا يا «أحمد» ... هل وصلتكَ الرسالة؟

أحمد: إني أتصل بكِ لأجلها ... هل عندكِ تفاصيل؟

إلهام: لا أعرف أكثر من موقع اللقاء ... وهو نقطة المتابَعة على نيل «المعادي».

أحمد: لقد تم إرسال الرسالة إلى كل الشياطين.

إلهام: لقد عرفتُ ذلك من الرمز.

أحمد: إذن نلتقي هناك.

إلهام: إلى اللقاء.

كاد «عثمان» يفقد صيده الوفير الذي حصَل عليه مِن صَبْر خمسِ ساعاتِ جلوس أمام مياه البحر الأبيض على شاطئ «العريش» ... عندما وخزَتْه ساعة يده ... فقد كان مُمسكًا بحقيبة من القُماش ممتلئة بالأسماك ... وكاد يتركها ليتلقى الرسالة التي كانت تحمل نفس الأمر الذي وصل للشياطين، وهو: التفُّوا حول «ن. م».

ففَهِم أنهم مطلوبون جميعًا في مقرهم على نيل «المعادي».

وضَع «عثمان» ما اصطاده في الثلاجة المحمولة ... ثم وضَعَها في سيارته «الجراند شيروكي» ... وانطلَق بعدها على طريق الكورنيش حتى فندق «قويدر» ... انحرف يسارًا مارًّا بجوار الفندق خارجًا إلى الشارع الرئيسي المؤدي إلى الطريق الدولي ... وهنا أمسَك بتليفونه المحمول وقام بالاتصال برقم «صفر» الذي جاوَبَه قائلًا: أهلًا «عثمان» ... هل يمكنك الانتظار ... فمعي مكالمة؟

ابتسم «عثمان» وقال له: طبعًا يا زعيم ... سأتصل بك ثانية.

رقم «صفر»: لا، بل سأطلبك أنا.

ولم تمضِ دقائق إلا وكان رقم «صفر» يطلبه ... وما إن رأى رقمه على شاشة صغيرة بتابلوه السيارة ... حتى ضغط زرًّا بجواره، وتلقى المكالمة قائلًا: أهلًا يا زعيم.

رقم «صفر» أين أنت الآن؟

ضغط «عثمان» زرًّا ليضبط المراية الجانبية وهو يقول: أنا على أوَّل طريق «العريش» الدولي القادم إلى «مصر».

رقم «صفر»: أنا أحتاجكم هنا فورًا.

عثمان: سأبذل قُصارى جهدي للوصول مبكرًا.

رقم «صفر»: لا ... لن يُجديَ هذا ... ستنتظرك طائرة في بئر «العبد».

عثمان: هل ستصل الطائرة قبلي إلى بئر «العبد»؟

رقم «صفر»: الطائرة الآن في «بالوظة».

عثمان: إذن ستصل قبلي.

رقم «صفر»: لا ... بل يجب أن تصل معك في نفس الدقيقة.

عثمان: والسيارة؟

رقم «صفر»: دعها لنا، وقم بالاتصال بقائد الطائرة على الموجة «طوارئ».

عثمان: عُلم وجارٍ التنفيذ.

رقم «صفر»: انتهى!

فتح «عثمان» ملف الاتصال على جهاز الكمبيوتر الميني المُلحق بتليفونه المحمول، وطلب الموجة طوارئ، وضغط زر الاستخدام فظهَرَت له على شاشته خطوطٍ بيانية مُتراصَّة تتحرك صعودًا وهبوطًا ... فضغَط مؤشِّر قوة الصوت ... فسمع بعض الأصوات المُتداخلة تَصْدُر من المحمول، ثم أتاه صوتٌ رخيم يقول: رقمك عندي على الشاشة ... أنت اسمك «عثمان» ... طويل العمر ... خفيف الدم ... تحب السفر.

ابتسم «عثمان» في راحة وقال له: هل تقرأ طالعي؟

أجابه صاحب الصوت الرَّخيم قائلًا: نعم ... وأمامك سكة سفر.

عثمان: بالسيارة؟

الصوت: لا بالطائرة.

ضحك «عثمان» وقال له: ما اسمك؟

الصوت: «عبيد».

عثمان: أتعرف أن «عبيد» هي مُصغَّر «عبد»؟

عبيد: وأنت اسمك «عثمان» أم «عشمان»؟

ضحك الاثنان وقد ظهر لكلٍّ منهما الآخر على مَرمَى بصره ... ففي السماء كانت الهليكوبتر تقترب من الشيروكي ... وعلى الأرض كانت الشيروكي تقترب من الهليكوبتر ... وبالقرب من مساحةٍ مستوية تقع على يمين الطريق انحرف «عثمان» بالسيارة ... وتوغَّل بها في الرمال لمسافةٍ قصيرة ... ثم توقف وغادرها وتأكَّد من إغلاق أبوابها ... ثم ابتعد ليُفسِح الطريق للهليكوبتر للتحرك بحرية في سماء المنطقة.

وهبطَت «الهليكوبتر» ... وقبل أن تتوقف مِروحتُها تمامًا عن الحركة ... هبط الكابتن «عبيد» وحيَّا «عثمان» بحرارة ... وبنفس الحَرَارة استقبله «عثمان» قائلًا: جئتَ لتحل مشكلتي ... فمن سيحل مشكلة الشيروكي؟

عبيد: أنا أيضًا.

عثمان: لا أفهم ... هل ستحملها بالطائرة؟

عبيد: لا ... بل سأقودها.

عثمان: وأقود أنا الطائرة ... أليس كذلك؟

عبيد: نعم ... أليست فكرة جيدة؟

عثمان: إنه تفكيرٌ منظم يليق بمنظمتنا.

عبيد: إذن أعطني مفاتيح السيارة.

عثمان: ليس للسيارة مفاتيح ... بل كارت إلكتروني.

مدَّ «عثمان» يده له بالكارت وهو يقول: ها هو الكارت، وأرجو أن تعطيني مفاتيح الطائرة.

ضحك «عبيد» وهو يسير متوجهًا إلى السيارة في الوقت الذي صَعِد فيه «عثمان» إلى الطائرة ... وعندما أدار «عبيد» محرِّك الشيروكي واستعد للانطلاق ... سمع صوت «عثمان» يصيح قائلًا: إنها لا تريد أن تدور.

أخرج «عبيد» رأسه من نافذة السيارة ... واقترب من الطائرة، وهو يصيح أيضًا قائلًا: هل حادثتَها؟

لم يفهم «عثمان» ما يقصده «عبيد» فقال له: «عبيد»، كيف أدير الطائرة؟

عبيد: لقد سجَّلتُ صوتَك على برنامج التعريف ... لكي تتمكن من إدارتها ... قل لها فقط دُوري وستدور.

فشَرعَت المحركات في الدوران ... وأُضيئَت المصابيح، وببطء تحركت المروحة العملاقة ... وشيئًا فشيئًا ازدادت سرعتُها إلى أن جذب «عثمان» ذراع الصعود وطارت الهليكوبتر في الهواء وتبادل كلٌّ منهما المواقع؛ فالآن يشير «عثمان» من الطائرة لـ «عبيد» الذي أخرج ذراعه من الشيروكي ورفع يده لأعلى يُحييه ... والطائرة ترتفع لأعلى و«عبيد» يتابعها في دهشة ... فقد تخطَّت الارتفاع الممكن ... وتجاوزَتْه إلى غير المسبوق ... فهل هذه قدرات الطائرة وهو لا يعرف، أم أنَّ «عثمان» تجاوز حدود الأمان ... وهو الآن في خطر؛ فالطائرة تُواصِل الارتفاع ... لقد كادت تختفي عن ناظرَيه ... فقام بالاتصال برقم «صفر» على تليفونه المحمول ... وما إن رأى رقم «صفر» اسمه على الشاشة حتى ضغط زر الاستجابة وقال له: ما الجديد يا «عبيد»؟

عبيد: أشعُر أن «عثمان» في خطر.

رقم «صفر»: وأين هو الآن؟

عبيد: إنه في الطائرة.

رقم «صفر»: إنه قائدٌ ماهر للهليكوبتر.

عبيد: وهل هذا يعني أن يرتفع بها كل هذا الارتفاع حتى كادت أن تختفي.

رقم «صفر»: ماذا تقول؟

وفي اندفاع المتوجِّس شرًّا قال «عبيد»: يا سيد «صفر» الطائرة وصلَت إلى ارتفاع غير مسبوق، ولا يمكن للهليكوبتر أن تصل إليه.

رقم «صفر»: هل تراها؟

عبيد: لأن المنطقة هنا خالية من المباني ... يمكنني أن أراها بنظارتي المُعظِّمة.

رقم «صفر»: وكيف وصلَت إلى هذا الارتفاع؟

عبيد: أنا لا أعرف.

وفي دهشةٍ وقلقٍ سأله قائلًا: من أين حصَلتَ على هذه الطائرة يا «عبيد»؟

عبيد: لقد كانت تقف بالمطار السري في «بالوظة». وقد طِرتُ بها كثيرًا.

رقم «صفر»: أي إنها تتبع المنظمة؟

عبيد: نعم، يا سيدي!

رقم «صفر»: ألم ترَ طائرةً غيرها تقف هناك؟

عبيد: لم يكن هناك غيرها!

رقم «صفر»: هناك شيءٌ غامض يجب كشفه.

وفي انفعال وتوتُّر قال «عبيد»: الطائرة اختفت يا زعيم، ماذا أفعل الآن؟!

رقم «صفر»: تحرَّكْ على أثَرها وخذ طريقك إلى مطار «بالوظة» وستكون هناك طائرةٌ تنتظرك ... كان الشياطين يجتمعون على سطح البرج المواجه لنيل «المعادي» ... والذي تقع به نقطة المتابَعة ... وقد وصلَتهم أنباءُ ما جرى لـ «عثمان» ... فوقعوا واجمين ... مندهشين وقد اجتمعَت آراؤهم جميعًا على ضرورة تدخُّل سلاح الطيران المصري ... ولم يكن هذا الرأي ببعيد عن رقم «صفر» ... فقد كان يرى هو الآخر ذلك؛ فقد كان ينتظر نتائج اجتماع كبار قادة المنظمة!

واعتبارًا لحساسية الظروف وخطورة الموقف لم يستغرق المجتمعون وقتًا طويلًا ... فقد وصلَت رقم «صفر» أنباء نتيجة هذا الاجتماع ... وكانت مُرضِية للجميع ... وقد صدَرَت الأوامر لطائرتَي استطلاع وطائرتَين مقاتلتَين بالتحرُّك لآخر نقطةٍ شُوهدَت فيها الهليكوبتر المُقلة لـ «عثمان».

وقبل أن ينتهي العد التنازلي للانطلاق ... وصلَتهم إشارة بالتوقف فقد اتصل «عبيد»، وعَلِم أنَّ الهليكوبتر عادت للظهور من جديد في نفس الموقع الذي اختفت فيه من قبلُ.

كان «عبيد» قد وجد في مطار «بالوظة» طائرةً مُقاتلة، ومعها طاقم من سلاح الطيران، ما إن رأَوه حتى حيَّوه التحية العسكرية، وكان مرتديًا زيه العسكري كضابطٍ في سلاح الطيران ... فاستقل الطَّائرة وأدار مُحَرِّكاتها وانطلق يستطلع الأمر عند «عثمان»؛ فهو الأقرب له ... وقد انتظر منه أن يهبط بالطائرة فلم يهبط ... بل تَعَلق مكانه ... ولم تمضِ

دقائق وكان قد اقترب منه ... وأخذ يحوم حوله في دائرة واسعة ... ثم أخذ في تقليل نصف قطر الدائرة شيئًا فشيئًا حتى كاد أن يرى «عثمان» داخل الطائرة ... وفي هذه اللحظة تهاوت الهليكوبتر فجأةً من ثَباتها، وقد توقفَت مِروحتُها عن الدوران تمامًا ... وأخذَت في السقوط وهي تدور حول نفسها وسط ذهول الكابتن «عبيد»، الذي لم ينقطع عن الدوران حولها بطائرته مُتحينًا فرصةً للتدخل لإنقاذ «عثمان» ... غير أنَّ «عثمان» لم يُمهِله ... فقد رآه «عبيد» يسقط من باب الطوارئ في قاعدة الطائرة وقد تَعَلق بمظلةٍ مُغلقة ... لم يفتحها إلا عندما اقترب من البحر، وفي هذه اللحظة دوَّى في الأُفق صوت انفجار هزَّ أرجاء المنطقة، وتحوَّلَت الطائرة إلى كتلة لهبٍ أخذَت تتساقط شظاياها فوق رمال الصحراء فتُشعِل ما بها من عُشبٍ جاف.

كان كابتن «عبيد» يُتابع ما يجري وهو يدور بطائرته حول موقع سقوط الطائرة ... وكان قريبًا من مطار «بالوظة» فأخذ يُقلل من ارتفاعه مع كل دورة يقوم بها؛ حتى أصبح فوق مَهبِط الطائرة تمامًا ... فأنزل عَجلات الطائرة وارتفع بمُقدِّمتها للأمام، وهبط بذيلها قليلًا حتى لامسَت العَجلات الأرض.

حادثٌ خطير

أمام الباب الحديدي الذي يتوسط السور السِّلكي الممتد حول المطار ... كانت تقف السيارة الشيروكي في انتظار الكابتن «عبيد» ... وكانت هي أوَّل ما رآه عندما غادر الطائرة، فأسرع الخُطى إليها ... وأخرج من جيبه الكارت الإلكتروني الخاص بها، ثم فتح الباب، واستلقى جالسًا خلف عَجلة القيادة ... ومرَّةً أخرى وضع الكارت ولكن هذه المرة في التابلوه ... ثم ضغط بدال السرعة وانطلق إلى حيث موقع سقوط «عثمان» في مياه المتوسط ... لقد سقط قريبًا من مجموعة من نخيل البلح الأصفر ... لقد حدَّدَها «عبيد» ثلاث نخلات تجتمع عند القاعدة وتتباعَد قِممُها ... وفي الطريق إليها قام بالاتصال برقم «صفر» الذي أسرع بفتح الخط قائلًا له: ما الأخبار يا كابتن؟

عبيد: لقد سقطَت الهليكوبتر.

رقم «صفر»: وما أخبار «عثمان»؟

عبيد: لقد قفز منها قبل أن تنفجر.

وفي قلقٍ عارم سأله رقم «صفر» قائلًا: هل انفجَرَت؟

كابتن «عبيد»: نعم ... انفجَرَت في الهواء، وسقطَت شظاياها في الصحراء قُرب منطقة «بالوظة» ... وبنفس مستوى القلق سأله رقم «صفر» قائلًا: و«عثمان» ماذا حدث له؟

عبيد: «عثمان» الآن في الماء، وأنا في الطريق إليه.

رقم «صفر»: هل أنت قريبٌ منه؟

عبيد: جدًّا يا سيدي ... وسأجعله يُحادثك خلال دقائق.

رقم «صفر»: أتمنى لك التوفيق.

غادر الكابتن «عبيد» الطريقَ الأسفلتي، وتوغَّل في الأرض الرملية قاصدًا البحر الأبيض ... وقد أعانَتْه الجراند شيروكي على السير في الرمال حتى وصل إلى شاطئ المتوسط ...

ولم يتبقَّ له غير خلع ملابسه والنزول إلى الماء للبحث عن «عثمان» ... ولكن قبل ذلك قام بتَسَلق الشيروكي حتى اعتلى سقفها، وقد أمسك بنظارته المعظِّمة ... وقام بمسح سطح الماء على مدى كيلومتر ... فلم يرَ «عثمان»، بل لم يرَ مَركبًا واحدًا يعلو سطح الماء، وأخذ يُحادث نفسه قائلًا: أين مراكب الصيادين ... ألم تخرج اليوم للصيد، وقتها كان «عثمان» سيجد ما يتعلق به وينجو ... أمَّا الآن فهو مُضْطر لأن يعوم كل هذه المسافة ... ولكن أين هو؟

ولشدة دهشته ... سمع كابتن «عبيد» نفسه تردُّ عليه قائلة: «عثمان» يقف خلفك.

لم يُصدق كابتن «عبيد» ما سمعه ... غير أنَّه التفَت خلفه دون قصد منه ... فرأى ما دفعه للصياح قائلًا: لقد خَرجتَ سالمًا!

ضحك «عثمان» كثيرًا وكابتن «عبيد» يحتضنه ... وردًّا على سؤاله: كيف خرجت؟ قال له: انفجار الطائرة أحدث تيارًا مائيًّا حملَني إلى الشاطئ ... إلا أن ضغط هذا الانفجار أفقدَني وَعْيي ولم أُفِق إلا منذ دقائق.

ربَّت كابتن «عبيد» على كتفَيه، وقال له: حمدًا لله على سلامتك.

عثمان: هل معك ماء؟

عبيد: نعم، في السيارة.

عثمان: ألم تشرب ما بها؟ إنَّ بها ماءً وعصائر.

عبيد: لقد كنا نبحث عنك ... هيا بنا، ولنُكمِل حديثنا في الطريق.

قفَز «عثمان» وكابتن «عبيد» إلى الأرض ... وكان باب الشيروكي مفتوحًا ... فقفز «عثمان» يجلس خلف عَجلة القيادة رغم محاولات كابتن «عبيد» في استبدال مواقعهما ... فهو يرى أنه مُتعَب ... إلا أنه رفض قائلًا: إن راحتي خلف عَجلة القيادة.

مَدَّ كابتن «عبيد» يدَه له بزجاجة ماء وهو يقول له: هل ستعود بها إلى «القاهرة» أم أطلب لك طائرة؟

صاح «عثمان» معترضًا بقوله: لا أريد ركوب طائرات الآن.

ضَحِك كابتن «عبيد» وهو يُجهِّز بعض السندويتشات التي يحملها «عثمان» معه في السيارة، وكانت السيارة قد وصلَت إلى الطريق الأسفلتي ... فاستدار بها «عثمان» يمينًا حتى استوت عليه في اتجاه العودة إلى «القاهرة» ... وقتَها قال له كابتن «عبيد»: القيادة في «القاهرة» قَلِقَة عليك!

نظر له «عثمان» مليًّا ... وكأنه تذكَّر ما غاب عن باله فقال له: سأطلبه فورًا.

وما كاد يُمسِك بتليفونه المحمول ... حتى انطلقَت منه الموسيقى ... ولمحَت عيناه على الشاشة رمز القيادة فعرف أنه رقم «صفر» ... فضغط زر الاستجابة وقال له: لقد كنتُ أطلبك يا «زعيم».

مُتهلِّلًا قال له رقم «صفر»: أهلًا بك معنا مرةً ثانية يا «عثمان».

ضحك «عثمان» وقال له: يقولون إن للقِط سبعةَ أعمار.

رقم «صفر»: لقد كنتُ أُجرِّب الرقم وأنا غير متأكد من أنك ستُجيبُني.

عثمان: أنا في الطريق إليكم.

رقم «صفر»: هل لديك أخبارٌ جديدة؟

عثمان: ومُهِمَّة.

رقم «صفر»: هل كابتن «عبيد» معك؟

عثمان: نعم.

رقم «صفر»: أبلغه تحياتي، وهو مدعُوٌّ لحضور الاجتماع القادم.

عثمان: إنه يُريد أن يُحادثك.

رقم «صفر»: بالطبع يا «عثمان».

أعطى «عثمان» التليفون لكابتن «عبيد» الذي بادر بتحية رقم «صفر» قائلًا: تهانينا لنجاة «عثمان» يا زعيم.

رقم «صفر»: شكرًا يا كابتن «عبيد»، ونرجوك حضور اجتماعنا القادم؛ فنحن في حاجةٍ إليك.

كابتن «عبيد»: أحضُر مع «عثمان» اليوم.

رقم «صفر»: ونحن في انتظاركما. إلى اللقاء.

أعاد كابتن «عبيد» التليفون لـ «عثمان» وهو يقول له: إنك بهذه السرعة تصل إلى «القاهرة» خلال ساعة.

عثمان: أنا أنتهز فرصة أنَّ الطريق خالٍ.

فداعَبه كابتن «عبيد» قائلًا: خالٍ من السيارات، ومن رجال المرور.

ابتسم «عثمان» وقال له: أنا لا أُخالِف قوانين المرور.

اقتربَت السيَّارة من جلبانة عندما ارتفعَت الموسيقى من تليفون «عثمان» المحمول، وعندما نظر إلى شاشته رأى «ريما» تبتسم ... فضغط زر الاستجابة وقال لها: أخيرًا تذكَّرتِ؟

ريما: إنها أوامر الزعيم ... فنحن نُعِد هنا للاجتماع.

عثمان: متى؟

ريما: الثامنة مساء اليوم ... حمدًا لله على سلامتك.

عثمان: شكرًا ... لماذا أنتِ وحدك؟

تحرَّك التليفون في يد «ريما» فمسحَت الكاميرا المكانَ حولها ... وقد كان بالفعل خاليًا ... فقالت له: الجميع في مَقَر «الهرم» يُعِدون للاجتماع.

عثمان: وأين أنتِ الآن؟

ريما: ما زلتُ في نقطة المُتابعة على نيل «المعادي».

سمع «عثمان» إشاراتِ تنبيهٍ لوجود مكالمةٍ أخرى على نفس الخط ... وقد سمعَتْها «ريما» هي الأخرى فقالت له: هناك من يطلبك ... سأتركك الآن، وأراك في «القاهرة».

عثمان: إلى اللقاء.

ضغَط «عثمان» زرًّا أسفل الشاشة ... فرأى «أحمد» يبتسم على الشاشة ويقول له: مع من كنتَ تتحادث؟

توالت الاتصالات بـ «عثمان» من زملائه تهنئةً على سلامته ... وقد كان الحديث يمتد إلى الكابتن «عبيد» ويعود إليه طوال الطريق إلى أن وجد نفسه فوق الطريق الدائري وقد اقترب من منزل ميدان الرماية.

وقتها أعلن كمبيوتر المقر المركزي عن قُرب وصول سيارة «عثمان» ... وبمجرد أن وصلَت السيارة إلى «ميدان الرماية» حتى بدأ الضوء الأحمر يُضيء في تابلوه السيارة، وظهر رقمٌ أزرق في عدادٍ إلكتروني يقل تدريجيًّا بسرعةٍ كبيرة ... وهو يدُل على المسافة المتبقية حتى المَقَر ... وعندما وصل الرقم إلى ٣٠ مترًا ... كان كمبيوتر غرفة اجتماعات المَقَر السري الصغير يُعلن وصول سيارة «عثمان».

اقتربت السيارة من باب المَقَر ... وظهرت فيلَّا كلاسيكية تتوسط حديقةً واسعة يحوطها سورٌ عالٍ له باب حديد كبير ... انفتح تلقائيًّا عند اقتراب السيارة منه، وأُغلق مرةً أخرى بمجرد دخولها.

اتجهَت السيارة إلى بابٍ مُغلق في نهاية الحديقة ... انفتح لأعلى قبل أن تصطدم به.

اجتاز «عثمان» الباب وسار على هُدى سَهم يُومِض من تابلوه السيارة ... فقد كان الظلام حالكًا، وغير مسموح بإضاءة مصابيح السيارة ... بعد عدة ثوانٍ ... ظهر عن بُعد ضوءٌ خافتٌ ما لبث أن غطى سيارة الشياطين تمامًا ... فقد وصلَت السيارة إلى جراج المَقَر ... ومنه انتقل «عثمان» و«عبيد» إلى غرفة الاجتماعات الكبرى ... غير أنهما لم يجدا

بها أحدًا ... وقد كانت مُضاءةً عن آخرها ... فانتقلا سويًّا إلى صالة المعيشة، وهناك وجدا الشياطين جميعًا يجلسون في انتظارهما ... وقد كان اللقاء حارًّا ... ولم تُنسِه حرارة اللقاء أن يسألهم قائلًا: أليس الاجتماع في الثامنة؟

بادر «أحمد» بالرَّد عليه قائلًا: لقد رأى رقم «صفر» أنَّ الثامنة هي ميعاد وصولك ... وستكون مُنهكًا وجائعًا، ولن تحضر الاجتماع في كامل لياقتك.

عثمان: ولا نصفها.

وهنا تدخَّلَت «إلهام» تقول مُرحِّبة: لذلك تم تأجيل الاجتماع إلى العاشرة أو قد يكون في العاشرة من صباح الغد. وأكملت «ريما» قائلة: أمَّا الآن فعليكما الاستعداد لتناول العَشاء؛ فلن نستطيع الانتظار أكثر من هذا. ضحك الزملاء ... وانصرف «عثمان» شاكرًا، واصطحب معه الكابتن «عبيد» إلى دورة المياه ... وعندما عادا إلى صالة المعيشة لم يجدا بها أحدًا ... فعرف «عثمان» أنهم جميعًا في غرفة الطعام ... فاصطحب «عبيد» إليها ... وما إن ظهرا ببابها حتى تداخلَت التعليقات من الزملاء ما بين مُرحِّب ومُشاكِس ... وبدأ موظفو المقر يطوفون بآنية الطعام والشياطين يملئون منها أطباقهم ... وانطلق الحديث مع الطعام ... وانتهى الطعام ولم ينتهِ الحديث ... وقد رغبوا جميعًا في استكماله مع أكواب الشاي في صالة المعيشة، غير أنَّ «أحمد» رأى أن يتوجه «عثمان» إلى غرفته ليحصُل على قَدْر من الراحة وكذلك الكابتن «عبيد» ... ولم يعترض «عثمان» ... ولم تُشاكِسه «ريما» ... فهي ترى أنَّ الوقت غير مناسب.

وعندما استيقظ «عثمان» ونظر إلى ساعة الحائط لم يُصدق نفسه ... فالساعة فيها السادسة صباحًا ... فهل نام كل هذا؟ وهل تأجل ميعاد الاجتماع إلى العاشرة من صباح اليوم كما أخبره «أحمد» بالأمس؟

هذا ما فعَلَه «أحمد» ... فقد قام بالاتصال برقم «صفر» وطلب منه ترجيح الميعاد الآخر للاجتماع، حتى يتمكن «عثمان» من الحصول على قَدرٍ كافٍ من النوم يمكِّنه من استعادة كامل لياقته؛ فهو يرى أنه مُرهَق للغاية.

وقبل العاشرة بوقتٍ كافٍ، كان الشياطين يجلسون جميعًا في غرفة الاجتماعات، والكابتن «عبيد» يجلس في غرفة المعلومات المركزية ... أمام جهاز كمبيوتر يرى على شاشته جميع الزملاء ... وعندما دَقَّت الساعة العاشرة تمامًا ... تبدَّلَت الصورة على الشاشة، وظهر بدلًا منها وجه لرجل مُقسَّم إلى مربعات ومستطيلات تتبدَّل مواقعها وألوانها ... وأعلى يمين الشاشة تظهر في مربع صغير صورة لباقي الزملاء.

ثلاث طرقاتٍ أطلقَها جهاز الكمبيوتر من خلال مُكبِّرات صوت الإذاعة الداخلية لغرفة الاجتماعات انطلق بعدها صوت رقم «صفر» يقول: حادثٌ خطير أدى إلى تداعياتٍ خطيرة ... وكِدْنا نفقد زميلًا عزيزًا علينا جميعًا ... ونحن هنا جميعًا لنستمع إليه ... ما الذي جرى يا «عثمان»؟

اعتدَل «عثمان» في جلسته وقال: أولًا شكرًا للزعيم على عظيم اهتمامه ... وشكرًا لكم جميعًا ... وشكرًا للكابتن «عبيد».

ثانيًا: كانت الأمور تسير طبيعية وأنا في «العريش» في مهمةٍ استطلاعية ... وبالأمس كنتُ أقوم بصيد الأسماك فرأيتُ جسمًا يُشبه الصاروخ يسقط من السماء.

الصاروخ المجهول!

ساد القاعةَ صمتٌ مُترقب ... فما يقوله «عثمان» ليس بالأمر البسيط ... فما معنى وقوع صاروخ في مياهنا الإقليمية؟ ومِن أين وقع؟ وكيف وقع؟ ومَن صاحبه؟ أسئلةٌ كثيرة يعرفون جميعًا أنَّ إجاباتها ليست عند «عثمان» ... ولكن ما سيقوله «عثمان» مُهِم للغاية ... فكيف ارتفعَت الطائرة إلى هذا المدى؟ وهل هناك علاقةٌ بين هذا الحادث وسقوط الصاروخ؟

استكمل «عثمان» حديثه قائلًا: وقتَها قمتُ بالاتصال برقم «صفر»، وأبلغتُه بما رأيتُ وكنتُ أعرف أنه سيُجري اتصالات على أعلى مستوًى ... غير أني لم أرَ أي حركةٍ غير عادية في المكان ... وقد كنتُ أنتظر قدوم ضباط حرس السواحل، وخبراء المفرقعات، وغيرهم الكثير ... إلا أنَّ شيئًا من هذا لم يحدُث ... فقلتُ إنها شئون الكبار ... ومن المؤكد أنَّ هناك إجراءاتٍ على أعلى قَدْر من الأهمية تتم دون أن نراها أو يعلم عنها أحد شيئًا.

قاطعه رقم «صفر» قائلًا: نعم، هذا ما جرى ويجري.

عثمان: وبعدها طلب مني رقم «صفر» العودة إلى «القاهرة» والتوجه إلى نقطة المتابعة على نيل «المعادي» ... ولأنه كان يُريد هذا يتم في سرعة ... فقد أمر طائرة من مطار «بالوظة» السري بالتوجه إلى بئر العبد حيث لقيني قائدها الكابتن «عبيد» هناك ... فبادلَني سيارةً بطائرة.

عَلَّق رقم «صفر» يُداعبه: وسيارتك أغلى طبعًا؟

فابتسم «عثمان» وقال: نعم؛ فسيارتي أغلى عندي من «الكونكورد».

واستطرد قائلًا: لم تكن هذه أول مرة أقود طائرة ... لذلك فقد أدرتُ المروحة وارتفعتُ بها دون أية مشاكل إلى أن وصلتُ إلى مستوى ارتفاع أرتاح للقيادة فيه ... فاكتفيتُ به ... غير أنَّ الطائرة لم تكتفِ وظلت ترتفع لأعلى ... والغريب أنَّ مُحركاتها توقفَت عن الدوران

... وشعَرتُ أن هناك محركات نفَّاثة قوية ... للغاية تسحب الطائرة لأعلى ... وبالطبع لم أتمكن من توجيه الطائرة إلى أي مسار يسمح لها بالإفلات، ولم يعُد أمامي إلا الاستسلام والانتظار.

تدخَّلَت «ريما» تسأله قائلة: ولماذا لم تتصل بنا وأنت قريب من قمر المنظمة؟!

عثمان: إنَّ كل الأنظمة الإلكترونية كانت مُعطَّلة ... سواء أنظمة التوجيه أو أنظمة الاتصالات.

أحمد: ألم ترَ طائراتٍ فوقك أو بجانبك؟

عثمان: لقد حافظوا على وجودي وسط تلال السحاب فلم أرَ حولي غيرها.

إلهام: أي إنها غلَّفَتْك تمامًا.

عثمان: تقصدين السحب؟

إلهام: نعم.

عثمان: لولا إغلاقي لنوافذ الطائرة وبابها لتسللَت إلى داخلها وطردَت ما بها من أكسجين واختنقتُ.

كيف إذن كان يتنفس «عثمان» وسط هذه الأجواء؟ هذا ما أثار دهشة «بو عمير» فاندفع يقول له: لقد خِفتَ من تَسَلل السحاب إلى داخل الطائرة مما قد يتسبب في اختناقك، ولم تخَفْ من إغلاق كل منافذ الطائرة ... واستهلاكك ما بها من أكسجين ... وهنا لزم التعليق من كابتن «عبيد» الذي فتح قناة الاتصال بهم وقال: هذه الطائرة مُتطورة للغاية، وهي مُعَدة للقيام بمهام استطلاعية، ومهام قتالية أيضًا ... لذا فهي مزوَّدة بنظام تغذية متطور للأكسجين.

استطرد «عثمان» يقول مُنطلقًا مما قاله كابتن «عبيد»: لقد بحثتُ في نظام إدارتها فعرفتُ ذلك واستفدتُ منه كثيرًا ... وإلا ما كنتُ بينكم الآن ... والسؤال الأهم الآن ... كيف تخلص منهم؟ وهذا ما دار في ذهن «قيس» فقال له: يقول كابتن «عبيد»: إنَّ طائرتك كانت تسقُط ومروحتها متوقفة عن الدوران.

وكأنما كان يستعيد مشاعر هذه اللحظات الحرجة ... فقد سحَب نفسًا عميقًا وزفرة وهو يقول: لقد وجدتُ الطائرة تتهاوى فجأة، وكأن من كان يُمسِك بها فتح قبضته عن آخرها ... وباءت كل محاولات إدارتها بالفشل ... ولم يعُد أمامي غير النجاة بحياتي ... فقفزتُ من باب الطوارئ بعد ارتدائي للمظلة.

أنهى رقم «صفر» حديث «عثمان» قائلًا: خيرًا فعلتَ أيها الفتى الشجاع.

ثم موجهًا كلامه للشياطين قائلًا: إنَّ ما رآه «عثمان» يسقط في مياه المتوسط، هو ما طلبتُ منكم الاجتماع من أجله في نقطة المتابعة على نيل «المعادي» ... فقد تم رصد هذا الجسم من قِبَل قمر المنظمة الاصطناعي، وقد كنا هناك بالقرب من محطة توجيه القمر ... فقد تطلبَت بعضُ الأمور الطارئة تعديلًا في مساره، وقد استلزم هذا الأمر بَذْل الكثير من الجهد وعَقْد الكثير من الاجتماعات، وقد كان هذا سببًا مباشرًا في رصد هذا الصاروخ ... وحتى الآن نحن لا نعرف إن كان صاروخًا أم قنبلة.

ولكي نعرف هُوِية هذا الجسم يجب العثور عليه أولًا ... وهذا ما صَرَّح به «أحمد» لرقم «صفر» حيث قال: لماذا هذا الصمت من كل الأجهزة الأمنية ... ولماذا لم يُشاهد «عثمان» ولا كابتن «عبيد» من يمسح المنطقة بحثًا عن هذا الجسم؟

رقم «صفر»: سأسألكم سؤالًا حيويًّا للغاية وإجابته ستُجيب استفساراتكم.

لزم الجميع الصمت انتظارًا لسماع رقم «صفر» الذي قال: ما الأهم الآن، الجسم الذي سقط أَم مَن أسقطه؟

التزم الجميع الصمت وتركوا إجابة السؤال له ... فأكمل قائلًا: الجسم الذي سقط موجود تحت الماء ولن يتحرك ... وسنحصُل عليه ونقوم بدراسته في أي وقت. أمَّا مَن أسقطه ... فهو المجهول لنا الآن ... وهو الذي يجبُ البحث عنه. وادَّعَت «ريما» الغباء وسألَتْه سؤالًا ساذجًا بقولها: وهل سيُعطِّلكم البحث عن الصاروخ عن مطاردة من أسقطه؟

ابتسم رقم «صفر» وقال: نحن لا نُريد أن نَلفِت نظر أحد إلى أننا رأينا هذا الصاروخ حتى يأتي صاحبه ويبحث عنه دون قلق.

وبَدَر من «أحمد» سؤال مُتأمل حين قال له: معنى هذا ...

رقم «صفر»: معنى هذا أنَّ كل المنطقة مراقَبة وخاضعة للتصوير طوال الليل والنهار.

وعاد «أحمد» يبُث مخاوفه من التأخر في البحث عن الصاروخ الغارق ... حيث قال: الخوف كل الخوف يا زعيم من أن يكون هذا الصاروخ من ميكروباتٍ مختلفة أو فيروساتٍ مهندسة وراثيًّا ... وأن يكون قد أصابه عطب ... وتتسرَّب شحنته إلى مياهنا.

ومحاولًا طمأنتَه قال رقم «صفر»: لا أعتقد أن أحدًا يُقدِم على جُرم بهذه الفداحة ... فالبحر الأبيض بحيرةٌ أوروبية، ومن ينوي الإضرار بها سيضُر القارة الأوروبية بأَسْرها.

وهنا رأت «ريما» أن تتدخل مُذكرة بما حدث من قبلُ قائلة: ألا تذكر شحنة السِّماد التي أُغرقَت في البحر الأحمر في عملية وحش الأعماق يا زعيم؟ ... ورأى رقم «صفر» أن ينزل على رغبتهم ويسمع لطلباتهم فقال لهم: ماذا يدور في رءوسكم؟

أحمد: نُشَكل مجموعة عمل ... تقوم بمسح المنطقة ... بحثًا عن أي تلوثٍ إشعاعي أو بيولوجي.

فعَلَّق رقم «صفر» مُحذرًا بقوله: على أن يتم هذا في الخفاء دون أن يلحظ أحدٌ ذلك.

وهنا تحمَّسَت «إلهام» للحديث قائلة: سنُشكل فريقًا شابًّا يقوم برحلةٍ ترفيهية ... وهذا سيُبعِد الأنظار عنا.

رقم «صفر»: على ألا يَضُم هذا الفريق «عثمان».

وهنا تدخَّل «عثمان» مُتسائلًا بقوله: لماذا يا زعيم؟

رقم «صفر»: هناك احتمال كبير أن يكونوا قد التقطوا لك صورًا ... ووقتها ستتسبَّب في كشف زملائك وإفشال مهمتهم.

أحمد: ليس هذا فقط، بل وتعريضنا للخطر ... فالباحثون عن هذا الصاروخ لن يتورعوا عن القتل لاسترداده.

رقم «صفر»: سيكون لك هنا دورٌ مُهِم في العملية ... وإذا احتاجوك هناك فسنُرسلك في طائرة هليكوبتر.

ضحك الشياطين من قلوبهم ومعهم «عثمان» الذي قال: إذن يسافرون كلهم يا زعيم؟

رقم «صفر»: لا ... سيبقى معك هنا «مصباح» و«هدى»، والمسافرون يستعدون للتحرك غدًا ... وفقك الله ... انتهى.

اجتماع عاجل عقده الشياطين.

انسحب وجه رقم «صفر» الفسيفسائي من على الشاشة العملاقة، وظهر بدلًا منه شعار الشياطين، ثم أخذ هذا الشعار ينمو حتى ملأ الشاشة ... ثم انطفأَت الشاشة تمامًا، وأُضيئَت مصابيح القاعة تباعًا ... وفي الوقت الذي التفَّ فيه الشياطين حول «عثمان» يسألونه في تفاصيلَ دقيقة للحادث الذي مَرَّ به ... وانتقلوا بعدها للحديث عما سيحتاجونه من أجهزة ومُعَدات حتى يمكنهم استعارتها من إدارات المُنظمة المختلفة.

اقترب موعد الغداء والشياطين مُجتمعون، ولم ينتبهوا أنَّ الكابتن «عبيد» ينتظرهم في قاعة مركز المعلومات ... لم ينتبهوا إلا لانسحاب «عثمان» من بينهم ... ومغادرته القاعة ... فتبعَتْه «ريما» دون أن يشعر ... وعندما رأته يدخل مركز المعلومات تذكَّرَت الكابتن «عبيد»، فلحقَت بـ «عثمان»، ودخلَت القاعة مُرحِّبة بالكابتن «عبيد» بقولها: لقد كنتَ الحاضرَ الغائب في الاجتماع يا كابتن.

ابتسم الكابتن وقال لهم مُداعبًا: أنا لم أكن غائبًا ... فقد حضرتُ معكم الاجتماع وشاركتُ فيه بما أعرف.

ريما: هذا صحيح ... ولكني لا أقصد اجتماع رقم «صفر».

نظر لها الكابتن مُستفسرًا ... فاسترسلَت قائلة: أقصد اجتماعنا نحن بعد انصراف الزعيم.

وهنا تدخل «عثمان» قائلًا: لن أرحل معك ... فهم يرَون في ظهوري هناك خطرًا عليهم.

شعر كابتن «عبيد» بنبرة ضيق في صوت «عثمان» فقال له: وأنت، ألا تشعر بخطورة ظهورك هناك هذه الأيام؟

قال «عثمان» في غير اكتراث: من الممكن أن أسافر مُتنكرًا.

كابتن «عبيد»: كيف؟

عثمان: إدارة التمويه في المَقَر عندنا لن تَعدِم وسيلة، بل هم ناجحون في هذا بدرجة امتياز ... مُحاولًا استرضاءه قال له «عبيد»: ولكن الزَّعيم يحتاجك هنا.

هزَّ «عثمان» رأسه في أسًى وقال: إنه فقط يُريد أن يبعدني عن الخطر.

ورأى كابتن «عبيد» أن بقاء «عثمان» غير مَرْضي عنه، فقال له: اتصل برقم «صفر» واعرض عليه الأمر ... ولكن بعد أن تكون قد درستَه جيدًا.

عثمان: لقد فعلتُ هذا مرارًا.

كابتن «عبيد»: تقصد التنكر؟

عثمان: نعم.

كابتن «عبيد»: إذن اتصل برقم «صفر».

وهكذا كان للكابتن «عبيد» دورٌ كبير في أن يعدل «عثمان» عن موقفه السلبي ... ويقوم بالاتصال برقم «صفر» ... الذي أجابه فور سماعه الرنة الأولى قائلًا: أيها الفتى الأسمر ... ما زلتَ تريد مصاحبة زملائك؟

ضحك «عثمان» من قلبه، وقال له: نعم يا زعيم.

رقم «صفر»: والخطر القابع هناك؟

عثمان: سألجأ إلى التنكر.

رقم «صفر»: وهل ترى أنك ستنجح في هذا؟

عثمان: لقد فعلتُه قبل ذلك كثيرًا.

ولم يشأ رقم «صفر» أن يحرمه من رغبته في الاشتراك في العملية فقال له: استعد للسفر معهم أيها المُحارب.

اتسعتَ ابتسامة «عثمان» واتسعَت معها ابتسامة كابتن «عبيد».

رحلة إلى أرض الخطر!

عاد الكابتن «عبيد» إلى قاعدته في المطار السري بـ «بالوظة» ... تاركًا الشياطين يُعِدون أنفسهم للرِّحلة ... وفي اليوم التالي كانت مديرية الشباب في شمال «سيناء» قد وصلها فاكس من وزارة الشباب يطلبون منهم فيه الاستعداد لاستقبال وفد من «جامعة القاهرة» سيحضر للقيام برحلةٍ ترفيهية، وببعض الأسئلة الاجتماعية لأهالي المنطقة ولبدو «سيناء» بصفةٍ خاصة.

وفي السادسة من صباح اليوم الثالث ... كان أتوبيس الرحلات التابع لإحدى شركات السياحة يستعد لمُغادرة حرم جامعة «القاهرة» ... وعلى متنه الشياطين الـ «١٣» كلهم ... كان الوقت مبكرًا ... والطريق لا يزال خاليًا ... لذلك لم يلجأ السَّائق الذي كان بالمناسبة يعمل بالمنظمة، لم يلجأ إلى الطريق الدائري ... بل شق طريقه إلى كوبري «الدقي» ومنه إلى كوبري «أكتوبر» ومنه إلى طريق «صلاح سالم» ... الذي سلمه إلى أول طريق «الإسماعيلية» ... وفي أقل من ساعة كان الأتوبيس يَعبُر قارة «أفريقيا» إلى قارة «آسيا» ... فوق كوبري «السلام» الذي يربط «القنطرة غرب» بـ «القنطرة شرق» ... أي يربط الدلتا بـ «سيناء» ... وعندما وصلوا إلى «جلبانة» أشار لهم ضابط في الجيش ... فأوقف السائق السيارة ... فقال له الضابط: افتح الباب.

اعترض السائق قائلًا: إنهم وفد من اتحاد طلاب «جامعة القاهرة» ومعي خطاب من وزارة الشباب، وخطاب من وزارة التعليم العالي ... ولم يقتنع الضابط ... بل قال له في إصرار وحزم: افتح الباب.

فلم يجد بُدًّا من الانصياع للأمر ... وقام بفتح الباب ... فصَعِد الضابط ... وما إن رآه «عثمان» حتى صاح في بهجة قائلًا: كابتن «عبيد»!

اختلطَت أصوات الشياطين مُرحِّبين بكابتن «عبيد» ... وتحيَّن السَّائق فرصةً هدأَت فيها الأصوات قليلًا ... وقال يسأل «أحمد»: هل أتحرَّك؟ ... سمع «عبيد» سؤال السائق فقال له: نعم، تحرَّك ... ثم نظر مليًّا وقال له: ألا تعرفني؟

نظر له السائق مُتفحصًا ثم قال: لا أتذكَّر سيادتك ... فقد كنتُ أخدم في المَقَر السري الكبير في الصحراء الغربية.

وصل الأتوبيس إلى «بالوظة» ... وكاد «عثمان» يأمره بالتوقف ... فهذا المطار الذي يعمل به «عبيد»، غير أنه قال له: أنا قادم معكم إلى «العريش» ... أين ستنزلون؟

وهنا تدخَّل «أحمد» قائلًا: سننزل في قرية «سما العريش» السياحية.

مال «عبيد» على «عثمان» وقال له هامسًا: إنها بعيدة عن موقع سقوط الصاروخ.

وفي صوت خافت قال له «عثمان»: إنَّ هذا مقصود ... حتى لا يُفتضَح أمرُنا.

عبيد: وكيف ستتحركون إلى هناك؟

كان «أحمد» يُتابع الحديث فقال له: هناك فيلَّا لرجل من أهل «العريش» يُدعى «توفيق الشريف» ... وهو مُهتم بأمور الشباب ... ويُعين بحكم منصبه في إقامة معسكرات الشباب في «العريش» وفي أماكنَ أخرى من أرض «مصر».

عبيد: وكيف سنستفيد من هذه الفيلَّا وهو مُقيم فيها؟

ربَّت «عثمان» على يده وهو يقول له: إنه لا يُقيم فيها ... إنه يُقيم في «مصر» منذ زمن بعيد، وعمله هناك وجميع أبنائه هناك. وهنا تدخَّلَت «إلهام» لتُكمِل الحديث قائلة: إنها سكن الأجداد، وهو لا يأتي إليها إلا مرتَين في الشهر ... ولن يمانع في الإقامة معنا.

كان قوس «النصر» الذي يتصدر مدخل مدينة «العريش» قد اعتلى الأتوبيس الذي مَرَّ من تحته ولم يقف ... إلا عند أول محطة وقود ... ونزل الشياطين يحرِّكون أرجلهم بعد طول جلوسهم.

كان النهار قد قارب على الانتصاف ... ومع ذلك تبدو الشوارع خالية إلا من بعض المَارَّة ... وقليلٍ من السيارات ... رغم اتساع الشوارع، إنها مدينةٌ جميلة ... رَحِم الله أهلَها من زحام مدينة «القاهرة» وتلوُّثها السمعي والبصري والمُناخي ... كانت هذه تعليقات الشياطين ... الذين طلبوا من السائق أن يسبقوه سيرًا إلى القرية ... ويلحق بهم هو بعد أن يفرغَ من غسيل السيارة.

ولأنهم يعرفون قوانين اللعبة ... فقد ارتفعَت أصواتهم بالغِناء واختلطَت بتصفيق أيديهم وعلا هَرجُهم في المكان ... وتسابقوا جريًا وركضًا ... إلى أن وصلوا إلى مدخل القرية

... فأخرج «أحمد» أوراقه ... وسلَّمَها لموظف الاستقبال الذي غاب بها لدقائق ... ثم عاد يقول لهم: تفضَّلوا ... هذه أرقام شاليهاتكم.

ثم نادى بعض الموظفين ... وقال يسأل الشياطين: أين حقائبكم؟

واندفعَت «ريما» تقول: الأتوبيس في الطريق ... فقد سبقناه.

ضَحِك «عثمان» وصدَّق على كلامها قائلًا: لقد أحضَرناه فقط ليحمل حقائبنا.

سَرَت عَدْوى الضحك بين الشياطين ... وشاركَهم فيها موظف الاستقبال وهو يقول لهم من بين ضحكاته: أرجو أن تستمتعوا بإقامتكم عندنا.

عَلَّقَت «إلهام» قائلة: نرجو هذا.

وكان على «خالد» أن يُشارك في رسم الصورة وإتقانها ... فالمفروض أنهم طلبةٌ جامعيون مقبلون على الحياة ... فالتفت إلى موظف الاستقبال وقال له: متى الغَداء؟

ابتسم موظف الاستقبال وقال له: في الثالثة ... وإذا شئتَ أرسلتُ لك شايًا وفطائر.

وهنا صاح «باسم» قائلًا: لنا جميعًا من فضلك.

ارتسمَت الابتسامة على وجه كل الموجودين بالقرية؛ فقد أشاع الشياطين رُوح الدُّعابة والبهجة في المكان ... وحاول الجميع أن يتقرَّب منهم ... وكانوا هم سَبَّاقين في هذا.

حضر عُمال الفندق يحملون الحقائب ... فأسرع الشياطين إلى دورات المياه يحصُلون على حمامهم البارد، ويخلعون عنهم ملابس السفر ... ويرتدون ما خَفَّ وستَر، وحين اتصلَت الإدارة بـ «أحمد» تسأله عن رغبتهم في تناول الطعام في غُرفهم رفض هذا ... وطلب منهم إعدادَ مائدةٍ تَسعُهم على شاطئ البحر.

وقد حضَر هذه المائدةَ الكابتن «عبيد» والأسطى «سيد» سائق الأتوبيس ... وكم تمَنى كل الجالسين على الشاطئ وقتَها لو شاركوا هؤلاء الشباب في غَدائهم ... والذي حدث ... أنَّ كل الزبائن طلبوا أن يتناولوا غَداءهم على البحر ... وأن تُوضَع موائدهم بالقرب من شباب «جامعة القاهرة».

انتهى الغَداء ... وتفرَّق الشياطين عائدين إلى غُرفهم على وعدٍ باللقاء عند رحيل شمس اليوم ليخرجوا للتنزه.

وبالطبع كان المقصود بالتنزه هو زيارة شارع الكورنيش ... وتناوُل الشاي في فندق «قويدر» ... والمرور أمام مواقع سقوط الصاروخ.

وقد يَسَّر لهم الأمر كثيرًا مرورُ الأستاذ «توفيق الشريف» على القرية لتناوُل غدائه؛ فقد عَرفَ بقدوم وفد اتحاد طلاب الجامعة ... وطلَب رؤيتهم ... فقام مدير الاستقبال

باستدعاء «أحمد» وعرَّفه عليه ... وقد كان اللقاء بينهم لطيفًا قام فيه السيد «توفيق» بدعوتهم لزيارة بيته ... فتلقى «أحمد» الدعوة شاكرًا ... وافترقا عائدَين «توفيق الشريف» إلى بيته و«أحمد» إلى غرفته ... ولكن قبل أن تتحرك سيارته ... صاح الأستاذ «توفيق» قائلًا لـ «أحمد»: أنا أستيقظ من نومي في السادسة مساء ... أراكم بعد هذا الميعاد.

فأجابه «أحمد» صائحًا أيضًا بقوله: سنأتيك اليوم.

وفي تمام السادسة وعشر دقائق ... كان جرس الباب يُعلن أنَّ هناك زُوارًا من إحدى شُرفات الفيلَّا ... رأَوا وجه امرأة في العَقْد الرابع من عمرها تتفحَّصهم وغابت للحظات، ثم عادت تُطِل من الشُّرفة وتقول لهم: سأفتح لكم.

وغابت مرَّةً ثانية ... ثم ظهَرَت خلف الباب الحديدي وهي تقول: أهلًا وسهلًا ... خدامتكم «أم حسان».

انبرى الجميع يُرحِّب بها ... وما إن فتحَت الباب ... حتى توارت خلفه إلى أن دخلوا جميعًا ... فقامت بإغلاق الباب وهي تقول لهم: مِن هنا.

وتُشير إلى سُلم يُفضي إلى تراسٍ رحْب للغاية ... ما إن وصله «أحمد» حتى صاح قائلًا في بهجة: الأستاذ «توفيق» هنا.

انتفَض الأستاذ «توفيق» واقفًا في أدب جم ... ومد يده مُرحبًا بالشياطين وهو يوزِّع دعاباته هنا وهناك ... فشعروا معه سريعًا بالألفة، وسرعان ما انضمَّت لهم فتاةٌ حسناءُ قدَّمها لهم قائلًا: ابنتي «تهاني».

حيَّاها الشياطين وانخرطوا معها في أحاديثَ شيقة عما تعرفه عن «العريش» و«رفح» في الوقت الذي انتحى فيه «أحمد» جانبًا بالأستاذ «توفيق» وقال له: هل يمكننا الغوص هنا؟

قال الأستاذ «توفيق» في إجابةٍ حيادية: لا أحد سيمنعكم.

أحمد: رغم أنَّ الغوص ليس من نشاطات هذه المنطقة؟

نظر له الأستاذ «توفيق» في تساؤل وقال له: ليس شرطًا ... والمياه هنا تُغري بالغوص لشدة صفائها ... لكنك لن ترى هنا شعابًا مرجانية ... فهي في «البحر الأحمر» و«العريش» تقع على «البحر الأبيض».

أحمد: أي إنَّ الغوص هنا ليس مُبرَّرًا.

ابتسم «توفيق الشريف» ابتسامة دهشة له وقال له: لا أفهم قصدك.

شَعَر «أحمد» أنه تجاوَزَ الخطوط الحمراء ... فاكتفى بما قاله ... وأنهى الكلام مع «الشريف» قائلًا: لماذا يدُقون هذه المواسير الطويلة؟

توفيق الشريف: انتظر لدقائق وستعرف.

أتت «ريما» لتسأل الأستاذ «توفيق» نفس السؤال فقال لها: إنهم يمدُّون عليها الشِّباك ... فيصنعون سورًا عاليًا لا تستطيع الطيور المهاجرة تجاوزه ... وبالذات السمان.

وهنا حضَرَت «إلهام» وهي تقول: وتصطدم الطيور بهذه الشِّباك ... وتصبح صيدًا سهلًا لهذا الصياد.

كان الصيادون قد انتهَوا من دَقِّ المواسير وبدءوا في نصب الشِّباك وعندها صاح «أحمد» في غضب قائلًا: إنَّ هذه الشِّباك تحجُب البحر عن عيوننا.

فقال «توفيق الشريف» في دعة: البحر الآن مُظلِم تمامًا لن ترى منه شيئًا ... والصياد لا ينصب هذه الشِّباك إلا في أيامٍ معدودات هي موسم هجرة هذه الطيور.

انزعج «أحمد» جدًّا لوجود هذه الشِّباك؛ فهي لن تسمح لأحد بمراقبة ما يجري داخل الماء ... لذلك قام باصطحاب بعضٍ من زملائه ... ونزلوا إلى الشارع فعبَروا الطرق إلى شاطئ البحر ثم قاموا برفع الطرف السفلي من الشِّباك ... وعبَروا من تحته إلى حيث رأَوا البحر.

وكم كانت دهشتُهم عندما حضر إليهم أحد الأهالي ويبدو أنه صاحب هذه الشِّباك وقال لهم: النزول إلى البحر الآن خطر.

نحَّى «أحمد» زملاءه جانبًا ... وتصدَّى له قائلًا: لماذا؟

الرجل: ألا ترى يا أستاذ هذا السواد الذي يعُم كل شيء؟

أحمد: أهذا ما يُخيفك ... إن هناك ما هو أخطر من ذلك؟

صائد السِّمَّان!

لم يكن الصياد يعرف أخطر من نزول البحر في الليل ... ومن نزول الأغراب إلى شاطئه، وإضاعة كنزه الثمين من الطيور المهاجرة ... فأي طير هذا الذي سيحضُر وهو يرى هذه الكائنات تتحرك على الشاطئ.

لذلك جرى الرَّجل إلى فيلَّا «توفيق الشريف» ... ووقف يُنادي من أسفل قائلًا: يا «شريف» ... يا «شريف».

أطلَّ الأستاذ «توفيق» وقال له: إزيك يا «عَمَّار».

لم يُجِب الرجل التحية بل قال له: يا «شريف» ضيوفك سيُهربون الصيد.

الشريف: كيف يا «عمار»؟

عمار: إنهم يقفون أمام الشِّباك.

كان «أحمد» قد عاد وزملاؤه إلى الفيلَّا ... ورآهم الرَّجل وهم يعبُرون بوابتها فقال لهم: جزاكم الله خيرًا يا أولادي.

لم يَلتفِت «أحمد» له ... فقد كان مشغولًا جدًّا بما يدور في رأسه ... فأشار لـ «عثمان» ليلحق به ... وكذلك «قيس» و«باسم» ... وصَعِد السُّلم الخلفي الذي أضفى به إلى سطح الفيلَّا ... فانتحى بهم جانبًا وقال لهم: أنتم ترون في هذه الشِّاك عائقًا للرؤيا ومُعطلًا للمراقبة أليس كذلك؟

أجابوه جميعًا ببلى ... فاستطرد قائلًا: ولكني أراها ساترًا سيُعيننا على الغوص والبحث عن بُغْيتنا.

واعترض «قيس» قائلًا: الغوص في الليل خطر ... فما بالُكَ إذا كان بدون مُعَدات؟

وبالطبع لم يكن هذا ما يدور برأس «أحمد» فقال له: ومن قال لك إننا سنغوص بدون مُعَدات؟

وكذلك «باسم» ... اعترض قائلًا: إمرار المُعَدات الآن سيَلفِت النظر.

كان «أحمد» يعرف ذلك جيدًا ... لذلك لم يفكر في اصطحاب مُعَداتٍ ثقيلة ... بل كل ما كان يقصده هو جهاز استشعار وملابس غوص ... غير أنَّ «عثمان» كان له رأيٌ وافق عليه الجميع ... فقد قال لهم: إن نقل المُعَدات مهما كانت قليلة سيَلفِت الأنظار ... أمَّا إذا عملنا على دفن هذه المُعَدات في الرمال ... وأثناء معسكر نقيمه هنا ... ثم نستخرجها في الليل ... فلن يراها أحد.

وكان «أحمد» أوَّل الموافقين على هذا الرأي ... لذلك فَضَّ الِاجتماع ... ودعاهم للنزول حتى لا يُلاحِظ أحد غيابهم.

وكان الأستاذ «توفيق» قد أعَدَّ عَشاءً رائعًا من خير مزرعته ... وعندما شكروه عليه قال: اشكُروا «أم حسان» فهي التي فعلَت كل شيء.

يا له من رجلٍ كريم متواضع ... خفيف الدم إلى حد أنْ حوَّل جلسة العشاء التي عبَّر فيها كل واحدٍ منهم عن نفسه بما يُجيده!

وانتهت السهرة على أمل تجديد اللقاء ... ونزلوا جميعًا إلى حيث يقف الأتوبيس فاستقَلوه ... وانطلَق بهم ... وكان أول المتكلمين هو الأسطى «سيد» السائق ... فقد قال: الأستاذ «توفيق الشريف» رجلٌ رائع ... وأنا حزينٌ أني لن أحضُر عَشاءً عنده مرةً ثانية.

صاح «أحمد» فيه متسائلًا: لماذا يا «سيد»؟ ... ماذا جرى؟

سيد: يجبُ أن أعود في الصباح إلى «القاهرة».

عثمان» لماذا؟

سيد: اتحادات الطلبة تستأجر الأتوبيس للذهاب أو العودة فقط ... وإذا بقيتُ معكم ... فسنُثير التساؤل.

وكان لدى «أحمد» الحل حيثُ قال له: لا تهتم يا أسطى «سيد» ... فنحن هنا لنقوم بخدماتٍ اجتماعية ... وأنت معنا لتُيسِّر لنا هذا الأمر.

لمَعَت عينا «سيد» ... فقد راق له كلام «أحمد» ... لذلك كان سعيدًا جدًّا وهو يمُرُّ بالسيارة من بوابة القرية التي يقيمون فيها ... فقد شعر أنه لن يفارقها الآن.

نام الشياطين مبكرًا، واستيقظوا مبكرًا ... فتناولوا مشروباتهم الساخنة وقرَّروا أن يتناولوا إفطارهم على شاطئ البحر أمام فندق «قويدر».

ولذلك قاموا بوضع كل مُعَداتهم في السيارة ... وركبوها ... وانطلق بهم «سيد» إلى شاطئ الكورنيش ... وهناك رأَوا الأستاذ «توفيق» يتناول الشاي على شاطئ البحر ... وقد

جلس يسمع الأخبار من راديو صغير عُلق بمسند الكرسي، وما إن رآهم ... حتى انفرجَت أساريره وقال لهم: ستُمضون اليوم هنا ... أليس كذلك؟

ردَّت «إلهام» عليه قائلة: اليوم وكل يوم.

ضحك «الشريف» وقال لهم: إذن سيكون غَداؤكم عندي.

حاول الشياطين الاعتراض حتى لا يُثقلوا على الرجل ... إلا أنه أصَر وقال لهم: سأدعوكم إلى منسف ... ضحك «عثمان» وقال: ستنسف من؟

ضحك «الشريف» لهذه القفشة وقال له: إنها أكلةٌ عربية ستُحبها جدًّا. اتفقنا.

ولم ينتظر منهم اعتراضًا ... وتركهم يُعِدون معسكرهم وعاد هو إلى بيته ... ولم يمضِ دقائق إلا ورأَوه يركب سيارته ويخرج من منطقة الكورنيش.

كان «قيس» قد نصَب الخيمة قُرب الماء، بل كان الماء يغمُرها من أسفلها ... ورغم ذلك كان «خالد» ينقل إليها حاجياتهم، ولحق بهما «عثمان» و«بو عمير» ... وكان «أحمد» مشغولًا عنهم ... وعندما التفَت إليهم صاح فيهم قائلًا: ماذا تصنعون؟ تنصبُون الخيمة وسط الماء؟ وأين نعوم إذن؟ في الرمال؟

نظر «قيس» و«خالد» و«بو عمير»، إلى «أحمد» وهم واجمون، أما «عثمان» فقد عمل على فك الخيمة وهو يقول لهم: «أحمد» له الحق في كل ما يقوله.

نظر له زملاؤه وهم يضحكون فقال لهم «أحمد»: ساعدوه في نقل الخيمة إلى هنا ... فسنبدأ في حملة التطعيم.

وبناءً على اتفاقٍ مُسبق، ارتفع صوت مُكبِّر يدوي يحمله رجلٌ يركب حمارًا، يدعو الناس للتوجُّه إلى خيمتهم للتطعيم.

ومال «عثمان» على «أحمد» وقال له: أتعرف أنَّ هذا هو الحمار الوحيد في «العريش».

أحمد: أحمدُ الله أنه لم يقدَّس كما يقدِّس الهنود البقر.

مال «عثمان» عليه مرةً ثانية وقال له: لقد تم زرع كل المُعَدات تحت الماء وتحت الرمال.

أحمد: هل كانت الخيمة تُغطيكم تمامًا؟

عثمان: نعم.

أحمد: أتعشَّم ألا يلفتَ نقلُ الخيمة من موقعها نظرَ أحد.

عثمان: لا أظن.

في هذه الأثناء حلَّقَت في سماء المكان طائرة هليكوبتر متطورة ... ودارت حول موقع سقوط الصاروخ دورتَين ثم اختفت ... وشَعَر «عثمان» أنَّ قائدها هو كابتن «عبيد»؛ فمنذ عاد إلى قاعدته بالأمس لم يَرَوْه.

ولكن ماذا كان يقصد بدورانه حول موقع السقوط؟ هل كان يحُثُّهم على بدء الغوص والبحث؟ لقد أعدوا الخطة، وها هم ينفِّذونها بحذافيرها ولم يغيِّروها. قبل ميعاد الغَداء بدقائق ... حضَرَت سيارة نصف نقل ... وأنزل سائقها صينيةً ضخمة ممتلئة عن آخرها بالأرز ... وفوق هذا الأرز خروفٌ مسلوق ... ثم نادى هذا الرجل على ولدٍ صغير يُعاونه وقال له: أحضِر الملاعق.

ووجد «أحمد» نفسه مدفوعًا لأن يسأله: هل تأكلون هذا بالملاعق؟

فرد الرجل قائلًا: لا، نحن نأكله بأيدينا.

وقبل أن ينطقها ... قبل أن يقول للرجل إننا سنأكل بأيدينا ... أمسكه زملاؤه وسحبوه بعيدًا وقالوا للرجل: أحضِر الملاعق.

وكان «الشريف» قد حَضر ... فجلس بينهم وقال: هناك صينيةٌ أخرى قادمة.

إلهام: عليها أرزٌ أيضًا؟

لم يكن على الصينية أرزٌ فقط ... وهذا ما وضَّحه «الشريف» قائلًا: هذا ليس أرزًا فقط ... فتَحتَه عيشٌ رقيق رُصَّ طبقات ... وغُطي كل هذا بالمرقة ثم الأرز.

انتهى الغَداء ... ورأى «أحمد» بطرف عينَيه حركةً غير عادية في الماء ... فلم يَلتفِت ... وقال لزملائه: لا يَلتفِت أحدكم للماء.

أثار التنبيه فضول «عثمان» فقال له: هل هناك أحد بالماء؟

أحمد: هناك حركةٌ غير عادية في الماء.

عثمان: هل هي قريبة من مُعَداتنا؟

أحمد: نعم.

عثمان: إذن فقد تم كشفُنا.

أحمد: حتى الآن لم يتأكَّد هذا.

ورأت «إلهام» أنها يجب أن تتصرف ... فقامت بقذف «ريما» بقطعة لحم ففعلَت «ريما» مثلها وجرت ... فجَرَت خلفها «إلهام» في اتجاه الماء ... بل خاضَتا فيه وهما تجريان خلف بعضهما ... وفجأةً غابتا عن العيون ... ولم يعُد أحدٌ يسمع لهما صوتًا ... أصاب القلق عليهما «عثمان»، فجرى يخوض في الماء بقدمَيه حتى غَطَّاه مُعظمه ... فقفَز بداخله،

وأخذ يسبح باحثًا عنهما ... ولم يجد بُدًّا من أن يغوص ... ففَعل ذلك ... ولحُسن حظه ... رأى مُعَدات الغوص، وقد كشَف الماءُ الرمل عنها ... فأخرج بدلة غوص ... وماكينة أكسجين، وخلال عشر دقائق كان جاهزًا للغَوص في الأعماق ... غير أنه لم يَنسَ أن يبحث عن «ريما» و«إلهام»، وما أثار فَزعَه أنه رأى غوَّاصَين يعومان على مقربة منه ... ويرتديان بذلتَي غوصٍ كاملتَين ... فماذا يعني هذا؟

هل يعني أن أمرهم انكشف ... وأنهم وصلوا إلى الصاروخ ... وكما وصلوا إليه وصلوا إلى مُعَدات الغَوص؟

إنه لم يجد إلا بذلته ... فأين الباقي؟!

اقترب الغوَّاصان منه على حذَر ... ثم خلع أحدهما نظارته ... فسُرَّ «عثمان» كثيرًا لِما رآه ... إنها «إلهام»، وقد أشارت له بإصبعها ... تسبح في هذا الاتجاه، وبعد حوالي عُقدتَين ... أشارت له أن يغوص ... وعندما غاص رأى في قاع البحر ما وَتَّره كثيرًا ... لقد رأى الصاروخ وقد كُتب على جسده حرفا «دي وبي» فقرَّر الخروج بسرعة وإبلاغ السلطات.

وأشار لـ «إلهام» و«ريما» بالصعود ... ولحِق هو بهما ... وعندما خرجوا من الماء ... لم يجدوا الخيام ... لم يجدوا أيًّا من الزملاء حول المعسكر ... المكان خالٍ تمامًا، والسيارة غير موجودة ... لا ... بل المعسكر نفسه غير موجود ... ماذا حدث؟

نظرَت «ريما» حولها وقالت: المكان هذا ليس المكان الذي نزلنا فيه الماء ... لقد خرجنا من مكانٍ آخر ... نحن الآن نبعُد كثيرًا عن موقع المعسكر ... فهل بعُدنا كثيرًا؟

إنني أرى على البعد شاليهاتٍ خالية ... ولا أحد يسكن في هذا المكان ... ولا حتى أطفال يلعبون ... فأين نحن؟

وفي قلق قالت «ريما»: يجب أن نعود إلى الماء مرةً ثانية ... ونخرج من حيث نزلنا إلى الماء ... كانت برأس «عثمان» تدور أفكارٌ كثيرة عن المكان الذي يراه الآن فقال لهما: يُمكنكما أنتما العودة، أمَّا أنا فأمامي مهمَّةٌ مُلِحة.

ولم تنزل على رغبته وأصرَّت «ريما» على أن يعودوا إلى الماء سويًّا ... مما أثار دهشة «عثمان» ... فسألها عن سبب هذا الإصرار فقالت: لقد رأيتُ في أحد هذه الشاليهات حركةً لأكثر من شخص.

القبض على القنبلة القذرة!

أدار «عثمان» الأمور في رأسه ... ثم وافَق أخيرًا على العودة معهما إلى الماء ... على أن تنزلا هما سويًّا بدله ... وهذا ما حدَث ... وما إن أصبح وحده على الشاطئ حتى مرقَت رصاصةٌ بجوار أذنه أوقفَت شعر رأسه.

انبطح «عثمان» على الرمال تحسُّبًا للمزيد من الطلقات ... وما ظنَّه وقع ... فقد انهالت الرصاصات عليه من أكثر من مكان ... إذن هو هالكٌ لا محالة ... وعليه أن يَحفِر قبره في الرمال ... إنه ماهر في هذا الأمر جدًّا ... ولا يُباريه فيه إنسان أو حيوان.

والذي ينظر لـ «عثمان» في حالته هذه ستُصيبه الدهشة ... فهو لا يَحفِر بيدَيه فقط ... بل يَحفِر بيدَيه ورجلَيه وكأنه يعوم ... ومن يراه لا يظن أنه يَحفِر ... بل يظن أنه يرتجف خوفًا.

وفجأةً اختفى «عثمان» ... فهل تمكَّن من حَفْر قبره سريعًا وسقط فيه؟ أم أنه أهال على نفسه التراب فلم يعُد ظاهرًا؟ ... لقد تحيَّر أحد مطارديه مما يراه ... فأتى يبحث عنه ... فلم يجده فأطلق رصاصة على المكان الذي كان يَحفِر فيه ... ثم أطلق رصاصتَين ... ثم عدة طلقات دفعةً واحدة ... وبعدها أخذ ينبش في الرمال وقد انصرف عنه زملاؤه للنزول في البحر ... ولم يكن يعرف وقتَها أن «عثمان» يقف خلفه ... يا لك من شيطان يا «عثمان»! كيف فعلتَها؟ وقف خلفه وقال له: أنا هنا.

التفت الرجل مذعورًا وهو يسحب أمان مسدسه ... فلطمه «عثمان» بمشط قدمه لطمةً قوية على وجهه وقال له: يا لك من نذل! ... أتركك حيًّا وتُريد قتلي؟

قال هذا ثم دار على مشط قدمه ... وبالقدم الأخرى أصابه كالإعصار في صدره ... فأوقف الهواء في حلقه.

ولم تمضِ ثوانٍ ... إلا وأحاطه من كل مكانٍ رجل ... عيونهم تُطلِق الغضب بركانًا ... فقد قتَل «عثمان» قائدهم ... وفي هذه اللحظة كانت «ريما» تخرج من الماء ومن خلفها «إلهام» ... وطلقات الرصاص تنهال عليهما من كل جانب.

وفي حركةٍ مُباغتة ... مرَّت «إلهام» بيدها على ساقها ... ورفعَتْها وهي تمسك بمسدسٍ جاهز للإطلاق.

ولأنه سريع الطلقات ... فقد أفرغَت خزنته تحت أقدام هؤلاء الرجال ... الذين أسرعوا بالاختباء خلف ما قابلهم من حوائط ... وإلى أن تنتهي من حَشْو خزانة مسدسها ... تولَّت «ريما» عنها إطلاق النار ... والرجال يتراجعون للخلف ... وهي تتقدم. أمَّا «عثمان» فقد اختفى ... إنهم يعرفون أنه سيظهر ومعه مفاجأة.

وعندما كانت «إلهام» تُفرغ خزينة مسدسها للمرة الثانية، كان «عثمان» يخرج من أحد الشاليهات الفارغة ... وبيده يمسك مدفعًا رشاشًا مزوَّدًا بخرطوش وما إن رأت «إلهام» ذلك حتى صاحت فيه قائلة: أسقط هذه الحوائط التي يختبئون خلفها.

أطلق «عثمان» خرطوش مدفعه ... فاصطدم بحائط إحدى الكبائن الخلفي، وانفجر في قوةٍ مهولة ... فتحَت فُوَّهةً كبيرة في الحائط ... فرَّغَت فيها «إلهام» خزانة مسدسها.

وانتقل «عثمان» إلى بقية الشاليهات ... يُطلِق عليها خرطوش مدفعه ... فيُفجِّر حوائطه ... و«إلهام» من خلفه تملأ خزانة مسدسها وتُفرغها في الفتحة التي يُحدِثها «عثمان».

أمَّا «ريما» ... فقد غادرَت المكان جريًا ... واستقلت سيارة كانت تقف بعيدًا عن ساحة إطلاق النار ... انطلقَت بها تخرج من المكان لتعرف أين هم.

واكتشفَت أخيرًا أنها في المدينة السكنية التابعة لشركة كهرباء «العريش» وأنَّ عليها أن تتجه شمالًا لتعود إلى المعسكر.

ولكن قبل ذلك عليها إبلاغ السُّلطات عما يجري ... ولكن هل مسموحٌ لها بإبلاغ السلطات؟

إن الموضوع الذي هُم بصدَده غاية في السرية، كما قال رقم «صفر» ... وهذا يعني أنها لن تتمكن من إبلاغ السلطات ... فعادت سريعًا إلى المعسكر، وأخبَرَت «أحمد» أن الصاروخ في خطر ... وأن خطتهم للقبض على مُهربيه في خطر.

لم يحسب «أحمد» حسابًا لمن يرونهم ... وأخرج مُعَدات الغوص وأرديتَه وأمر الجميع بأن يستعدوا للغوص وحمل هذه الأمانة أيًّا ما كان ثقلُها ... وهنا تدخَّل «رشيد» وقال له: أتعرف كم يبلغ وزن هذه القنبلة؟

أحمد: لا أعرف.

رشيد: يبلغ وزنها خمسة أطنان.

أحمد: وكيف عرفت؟ هل رأيتها؟

رشيد: لقد أبلغتمونا أن على جسمها حرفَين هما «دي. بي» وهما يرمزان لـ «ديرتي بمب» أو «قنبلة قذرة».

أحمد: إنها ليست قنبلةً نووية.

رشيد: القنبلة القذرة ليست قنبلةً نووية، ولكنها تحوي بعض المواد المُشعَّة التي تتبخَّر عند تفجير المواد التفجيرية التقليدية التي تتكوَّن منها.

قيس: هذا يعني أنَّ هناك صعوبةً في حملها وبالذات في الماء.

أحمد: هناك حلٌّ واحد هو إحضار ونش.

قيس: وكيف ستحصُل عليه؟

أحمد: سأقوم بالاتصال برقم «صفر».

وبالفعل اتصل «أحمد» برقم «صفر» وطلب منه تسهيل مهمة الحصول على ونشٍ بحري، فلم يعِدْه رقم «صفر» وقال له: سأرى.

في هذه الأثناء انفجر موقد الغاز الخاص بالشياطين ... ولا أحد يعرف لماذا انفجر ... وبعدها انفجَرَت أنبوبة الأكسجين الخاصة بـ «أحمد» مما أثار حَيْرة الشياطين وأخذوا يبحثون عن سبب هذه الانفجارات في الوقت الذي هبط فيه «رشيد» إلى الماء للاطلاع على القنبلة ... فلم يجدها ... فجُن جنونه ... وأسرع بالخروج من الماء لإبلاغ زملائه ... فوجد «ريما» و«إلهام» و«عثمان» يُبلغون «أحمد» بنفس الخبر.

فأمسك بنظارته المعظِّمة ومسح المكان بحثًا عن لنش، أو يخت أو مركب صيد يمكنه أن يظن أنها هي التي سرقَت القنبلة فلم يجد ... غير أنه عند رجوعه بالنظارة، لمح قاربًا مطاطيًّا يجرُّه لنش ... وقتها رأى الحقيقة بخياله، فهذا القارب المطاطي الضخم يحمل القنبلة ويجرُّهما هذا اللنش إلى مكانٍ ما.

إنها فكرةٌ ذكية ... أن أحضر اللنش بلا هواء ... ثم أفرغ تحت القنبلة. وهنا صرخ بأعلى صوته قائلًا: أيها اللصوص ...

ثم أطلق دفعة رشاش على اللنش ... فأتاه من مُكبِّر صوت يحمله أحدٌ ما باللنش ... تحذيرٌ بأنَّ هذه الرصاصات قد تُفجِّر القنبلة، والعاقبة عندكم في المسرات.

لم يعبأ «أحمد» وأطلق دفعةَ رشَّاش أخرى على اللنش، فأجابه مَن باللنش بدفعة رشاش ... وأطاحت بالخيمة المتبقية ... ثم دفعة أخرى فرَّغَت الرمال من تحت أقدام «أحمد».

وعن بُعد ظهَرَت سفينة نقل حاوياتٍ عملاقة وعلى ظهرها ونش ... ظل اللنش يقترب منها حتى سار بمحاذاتها ... فألقى له أحد مَن على ظهرها بحبل ... ثبَّتَه هو بالقارب المطاط من كل اتجاه ... ثم أشار لهم ... وبدأ الونش يدور ... ويرتفع القارب في الهواء حاملًا القنبلة.

وقف الشياطين كلهم مكتوفي الأيدي ... فإطلاق الرصاص في هذه الحالة خطرٌ جَم ... ونتائجُه فادحة.

وهنا صاح «أحمد»: ماذا سنفعل الآن؟

وبَحَث الموجودون عن «عثمان» و«إلهام» و«ريما»، فلم يجدوهم ... أين هم إذن؟

هل كوَّنوا فريقًا لاصطياد مُهربي هذه القنبلة؟

إنه أمرٌ جائز.

وهنا قال «بو عمير»: اصطياد مَن؟! ... القارب صَعِد إلى سطح السفينة وعلى ظَهره القنبلة ... أي إن القنبلة الآن على سطح السفينة.

وفجأةً انتفَض الشياطين يقفون خلف أسلحتهم ويُعِدونها للإطلاق؛ فقد توافد من أكثر من جانبٍ رجال كثيرون طلبوا الحديث مع كبير هذه الجماعة — يقصد الشياطين — وتَقدَّم لهم «أحمد» وقال لهم: يمكنكم التحدث معي.

فقال أحدهم: كم تطلبون ثمنًا له؟

نظر «أحمد» مندهشًا ... فاندفَع آخر يقول: ليس هناك وقتٌ للتفكير ... ما ستطلبونه ستأخذونه.

نظر له «أحمد» في ريبة وقال: ماذا تقول؟ لا أفهمك.

فقال الرجل: أحدكم يحتفظ بكارت توجيه القنبلة وتفجيرها ... ونحن سندفع له فيها ما يطلبه.

أحمد: ومن هو؟

الرَّجل: إنه شابٌّ أسمر في مثل عمركم.

ابتسم «أحمد» في سعادة وقال له: إنه «عثمان».

ومن أعلى ارتفع صوتٌ من مُكبِّر صوتٍ يُشبه صوت «عثمان»، بل هو ... إنه «عثمان» يركب مع كابتن «عبيد» طائرة هليكوبتر ... وينادي كل طاقم السفينة ويُطالبه بتسليم

نفسه وإلا فسيُفجِّر لهم القنبلة في عَرْض البحر ... ولم يمضِ وقتٌ طويل إلا وأُبلغَت سُلطات الميناء ... أنَّ السفينة القبرصية قد استسلم كل ملاحيها لهم ... وأن القنبلة تحت السيطرة.

هنـــداوي